Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS)
ISSN (E): 2305-9249 ISSN (P): 2305-9494
Publisher: Centre of Excellence for Scientific & Research Journalism, COES&RJ LLC
Online Publication Date: 1st July 2020
Online Issue: Volume 9, Number 3, July 2020
https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.3.967.986



The Genesis of Reading and Intonation

Dr. Ekram Abdul Razzaq Abdullah Arabiyat
The University of Jordan, College of Sharia, Department of Fundamentals of Religion, Amman, Jordan
Email: S_khaled@ju.edu.jo

Abstract:
This research deals with the genesis of reading and intonation and began by talking about the linguistic and conventional meaning of each and related to the definition of both the reader and the reader and the fruit of the science of readings and its usefulness.
In this research, i.e. the stages of the genesis of the readings at the time of the descent of the Revelation and after the revelation, the seven letters and what they mean, and what character the Companions were reading.
She also spoke about the genesis of intonation, which means language and terminology, and when the science of intonation began to emerge.
What is the relationship between intonation and reading science?
Keywords:
Reading, Quran, Readings, Reading, Reader, Intonation
Citation:
Arabiyat, Ekram Abdul Razzaq Abdullah (2020); The Genesis of Reading and Intonation; Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS), Vol.9, No.3, pp:967-986; https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.3.967.986.

Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS), 9(3), pp.967-986

نشأة علم القراءات والتجويد

د. إكرام عبدالرزاق عبدالله العربيات
الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم أصول الدين
عمان/ الأردن

الملخص:

يتناول هذا البحث عن نشأة علم القراءات والتجويد وبدأت بالحديث عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل منهما وما يتعلق بهما من تعريف كل من القارئ والمقرئ وثمرة علم القراءات وفائدته.

وقد بينت في هذا البحث مراحل نشأة القراءات في زمن نزول الوحي وبعده، والأحرف السبعة وماذا تعني، وما هو الحرف الذي كان الصحابة يقرأون به.

وأيضًا تحدثت عن نشأة علم التجويد، ومعناه لغة واصطلاحاً ومتى بدأ ظهور علم التجويد.

وما هي العلاقة بين علم التجويد وعلم القراءات.

الكلمات المفتاحية: قرأ، القرآن الكريم، القراءات، علم القراءة، المقرئ، القارئ، التجويد.

المبحث الأول: تعريف المصطلحات

لا بد من التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة، كما هو متعارف عليه بالدراسات العلمية، وعليه فإنني أبتدئ هذا المبحث ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للمصطلحات الواردة في الدراسة.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمصطلحات الواردة

قرأ: أجمع علماء اللغة على أن قَرَأَ من الجَمَع والضَم بمعنى: جمع الشيء بعْضَه إلى بعضٍ، وبالنسبة للقرآن، قرأته: أي: جَمعْتُه وضمَمْتُ بعْضَه إلى بعضٍ[1].

القرآن: جاء في لسان العرب أن:"القُرآن: التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ"،... ويُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيِّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا وقُرْآناً وفُرْقاناً، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر،

1- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج363/1، وانظر الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ج720/1، وانظر إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، الناشر: دار الدعوة، ج722/2.

فيَضُمُّها. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٧أَي جَمْعَه وقِراءَته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٨، أَي قِراءَتَهُ"[1].

وقد ذكر عبد الفتاح سلامة أن:"كلمة قرآن معناها: الجمع والتأليف، فقوله تعالى:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي قراءته، وسمي ما بين دفتي المصحف: قرآنا؛ لأنه جمع السور وضم بعضها إلى بعض، أو معناها: القراءة، فتقول: قرأت قراءة حسنة، وقرآنًا حسنًا، فقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ الإسراء: ٧٨، أي قراءة الفجر، يعني صلاة الفجر وسمي قرآنا: لأن القراءة عنه، والتلاوة منه"[2].

أما **القارئ والمتقرئ والقُرَّاء**، فكله: الناسك[3]، والقراء: يكون من القراءة، جمع قارئ[4]، وقد بيّن الفيروزآبادي أن القراء هو "حسن القراءة، وجمعه قرؤون لا يكسر"[5].

وقد ورد في معجم الأدباء معنى الإقراء لغة مصدره من:"القراءة بالكسر وتخفيف الرا، يقال قرأه، يقرؤه، ويقرئه"[6].

أما التهانوي فقد بيّن معنى الإقراء فقال:"أن يقرأ القارئ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعًا أو أداءً بأن يأخذ من المشايخ ويقرأ ورواها مشافهة عن الشيوخ الضابطين بالإسناد المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدر للإقراء وعرف به"[7].

أما مفهوم القراءات فلم يذكر بالمعاجم اللغوية، ولكن تطرق الزرقاني لهذا البيان فقال:" القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ"[8]. هذا ما وجدته من بيان للمعنى اللغوي أما في الاصطلاح فسوف نجد أن الكثير من العلماء بيّنوا معاني عدة لهذا المصطلح كما سيأتي.

1- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، (1414 هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت، الناشر: دار صادر، فصل القاف، ج128/1، وانظر الزبيدي، محمد، تاج العروس، ج370/1.

2- سلامة، عبد الفتاح محمد محمد، (1400هـ)، أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، الطبعة: السنة الثانية عشر - العدد السادس والأربعون، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، ص89.

3- ابن منظور، لسان العرب، فصل القاف، ج129/1.

4- ابن منظور، لسان العرب، فصل القاف، ج129/1.

5- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، (2005)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، مادة قرأ، ص62.

6 - الحموي، ياقوت بن عبد الله، (1411هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، دار الكتب العلمية، ج82/1.

7 - انظر التهانوي، محمد علي، بسج، أحمد حسن، (1418هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، ط1، دار الكتب العلمية، ج481/3.

8 - الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى:1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، الناشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج412/1.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمصطلحات الواردة

القرآن اصطلاحًا: قال الشوكاني: إن القرآن الكريم :"هو كلام الله المنزل على محمد المتلو المتواتر"[1]، وقد بيّن مؤلف كتاب أضواء على القرآن الكريم أن معنى القرآن هو:" كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للتعبد بتلاوته، فمعانيه وصياغته من عند الله، وهو المدوّن في المصحف والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس... وللقرآن أسماء متعددة منها: الكتاب، والفرقان، والذكر"[2]، وقد أضاف الزركشي والزرقاني على ما سبق أنه قرآن محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف[3].

أما القراءات: عرف ابن الجزري القراءات بأنها:"علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[4].

وقد بيّن السيوطي أن **علم القراءات** من العلوم التي ينبغي لمفسر القرآن الكريم والإلمام بها لأنه عن طريقها:" يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"[5].

وأما الزرقاني فقد قال:" هو مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[6].

وقد عرف علم القراءات عبد الفتاح القاضي بأنه:" علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله"[7].

أما **موضوع القراءات** فهو:"كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها"[8].

أما عن ثمرة القراءات وفائدته: فقد ذكر القاضي أن أهم ثمرات هذا العلم هو:" العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به"[1].

---

1 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، (1999م)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط1، الناشر: دار الكتاب العربي، ج86/1.

2 - سلامة، عبد الفتاح، أضواء على القرآن الكريم، ص89.

3 - انظر الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله،(1391هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، الناشر دار المعرفة، ج178/2، والزرقاني، محمد عبد العظيم،(1415هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، ج17/1.

4 - ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، (1999)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين،ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، ص9.

5 - السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق مركز الدراسات القرآنية، ط1، السعودية، دار النشر مجمع الملك فهد، ج2296/6.

6 - الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج412/1.

7 - القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، ت: 1403هـ، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، ص5.

8 - القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة، ص5.

وقد فرّق الزركشي بالمعنى بين **القرآن والقراءات** فقال هما:" حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز"[2].

وأما **القراءات** فهي:" اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[3].

بناء على ما سبق، اتفق مع ابن الجزري وغيره ممن يرون أن القراءات هي كيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم اتفاقًا واختلافًا مع إسناد كل وجه لناقله بالشرط المعتبر عند العلماء؛ وهو إسناد كل كيفية لناقلها.

وقد بيّن الراغب الأصفهاني أن **القراءة** هي:"ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. لا يقال: قرأت القوم: إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة"[4].

وأما علم القراءة: فقد عرف الدمياطي علم القراءة بأنه:" علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع"[5]، أو يقال: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوًا لناقله"[6].

أما **المقرئ** فقد عرفه ابن الجزري بأنه :"العالم بها وقرأها مشافهة، فلو حفظ "التيسير" مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة"[7].

وعرف ابن الجزري **القارئ** بأنه:"هو طالب القرآن الراغب في أخذه وتلقيه وهو على قسمين قارئ مبتدئ وهو من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثا من القراءات، والمنتهي من نقل القراءات أكثرها وأشهرها"[1].

---

1 - المرجع السابق، ص5.

2 - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله،(1391هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، الناشر دار المعرفة، ج318/1، وانظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، (1974)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،، ج273/1.

3 - الزركشي، محمد، البرهان في علوم القرآن، ج318/1.

4 - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ)، (1412 هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق- بيروت، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، ج668/1.

5 - الدمياطيّ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)،(2006)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق: أنس مهرة، ط3، لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ج6/1.

6 - الدمياطيّ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر، ج6/1.

7 - القيسي، مكي بن أبي طالب،(2011)، الرعاية، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط6، الأردن، دار عمار، ص253، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، (1999)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، ص9.

المبحث الثاني: مراحل نشأة القراءات

إن علم القراءات مرتبط ارتباطًا مباشرًا بالوحي جبريل عليه الصلاة والسلام، الذي يعد المصدر الأساسي – هو الله جل جلاله وجبريل واسطة الوحي - فقد تنزل القرآن الكريم من رب العزة إلى جبريل عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتشير الآيات الأولى التي نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام المتمثلة ببداية سورة العلق: ﱡﭐ لم لى لي ما مم نر ﱠ العلق:1 إلى تلقي البشرية للرسالة الإلهية.

ولم يكن هذا التنزيل دفعة واحدة، بل كان تترا حيث استمر ثلاثة وعشرين عامًا، وبهذه الفترة استطاع النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام استيعاب القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا وأحكامًا، مستوعبين جميع أحرفه باختلاف أوجه قراءاته، حسب اختلاف لهجاتهم، وهي قد نزلت تسهيلًا وتخفيفًا على الأمة، وكان الصحابة الكرام يقرئون الناس القرآن الكريم كما سمعوه من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما كانوا يعلمون بعضهم بعضًا بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ سواء أكان ذلك في مكة أو المدينة المنورة، وإن أول من لقب بالمقرئ الصحابي الجليل مصعب بن عمير2، فقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليعلم أهلها القرآن، وبذلك أصبح في المدينة أول دار للقراء بعد اشتهار أمر التعليم في المدينة المنورة[3].

ومن الجدير بالذكر أن القراءة التي أنزل بها القرآن الكريم هي التي وصفها التابعي أبو عبد الرحمن السلمي بالقراءة العامة، وهي القراءة التي تلا بها النبي عليه الصلاة والسلام وقرأ على جبريل عليه الصلاة والسلام بها مرتين وذلك في العام الذي قبض فيه[4].

وقد تنوقلت القراءات كما هي من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ينقلها خلف عن سلف وهذا حتى قيام الساعة، وبما أن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه فقد هيأ الأسباب التي تؤمّن ذلك[5].

---

1 - القيسي، مكي بن أبي طالب،(2011)، الرعاية، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط6، الأردن، دار عمار، ص253، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، (1999)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، ص9.

2 - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، أحد السابقين إلى الإسلام، وكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه فعلم أهله فحبسوه إلى أن هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة توفي سنة 3هـ،(انظر ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني (773 - 852)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر، ج101/6، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، (2002)، الأعلام، ط15، الناشر: دار العلم للملايين، ج248/7).

3 - انظر ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، (1351هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ج299/2، وانظر الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف،(د.ط)، جدة، دار المجمع العلمي، ص14.

4 - انظر الزركشي، محمد، البرهان، ج237/1.

5 - انظر آل إسماعيل، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، (2000)، علم القراءات نشأته أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط1، مكتبة التوبة، ص58، وانظر الفضلي، عبد الهادي، (2009)، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط4، بيروت، مركز الغدير، ص25.

أما عن تأصيل مسألة القراءات وهل جاءت بسبعة أحرف عن جبريل عليه السلام، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام:" أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[1].

وجاء عن أبي بن كعب، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال:أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال:إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال:أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال:أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا"[2].

وقد جاء في شرح مسلم للنووي بيان لمعنى الأحرف السبعة واختلاف العلماء، وقد جاءت على النحو الآتي :"واختلف العلماء في المراد بسبعة أحرف، قال القاضي عياض، قيل هو توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر، قال: وقال الأكثرون: هو حصر للعدد في سبعة، ثم قيل هي سبعة في المعاني: كالوعد، والوعيد، والمحكم، والمتشابه، والحلال، والحرام، والقصص والأمثال، والأمر، والنهي، ثم اختلف هؤلاء في تعيين السبعة، وقال آخرون: هي في أداء التلاوة وكيفية النطق بكلماتها من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة ومد؛ لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه، فيسر الله تعالى عليهم؛ ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته، ويسهل على لسانه، وقال آخرون هي الألفاظ والحروف، وإليه أشار ابن شهاب بما رواه مسلم عنه في الكتاب ثم اختلف هؤلاء، فقيل: سبع قراءات وأوجه، وقال أبو عبيد: سبع لغات العرب: يمنها، ومعدها، وهي أفصح اللغات وأعلاها، وقيل: بل السبعة كلها لمضر وحدها، وهي متفرقة في القرآن غير مجتمعة في كلمة واحدة، وقيل: بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى: وعبد الطاغوت، ونلعب بين أسفارنا، وبعذاب بئيس وغير ذلك"[3].

وأما في العهد المكي فما كان مشهورًا عند الصحابة أن تعليمهم كان في بيت الأرقم، واستمر التعليم في العهد المدني أكثر مما كان عليه سابقه، فقد روى البخاري بإسناده، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال:" أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم " قدم النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[1] - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: 3219، ج113/4.

2 - النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم الحديث: 821، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج562/1.

[3] - النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، (1987)، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، الرملة البيضاء، بيروت، ج102/15-103.

فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما قدم حتى قرأت: چں ڻ ڻ ڈ ڈ چ الأعلى:١ في سور من المفصل"[1].

وقد اهتم النبي عليه الصلاة والسلام بتعليم القرآن الكريم وتفضيل الصحابي المتقن عن غيره في تعليم المبتدئين، فقد جاء أنه كان يعهد إلى حفظة القرآن الكريم المتقنين التلاوة أمر من دخل في الإسلام حديثًا ليعلمه القراءة الصحيحة، وهذا يدل على شدة اهتمامه ورعايته للمسلمين، يبين تحفيزه عليه الصلاة والسلام للقراء من الصحابة، وبناء جسور الثقة والخير في نفوسهم، وقد قال عبادة بن الصامت:" كان رسول الله يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن"[2].

أما الحرف الذي كانوا الصحابة يقرؤون به في مكة، فهو حرف قريش، وأما في المدينة؛ فكانت الأحرف السبعة، باعتبار أن المكان الذي نزل به جبريل عليه السلام في أضاة بني غفار، الذي كان حيًا من أحياء المدينة المنورة.

وقد تطورت هذه المرحلة في المدينة حتى ظهرت جماعة تعرف بالقراء، يتدارسون القرآن الكريم، ومنهم الذين قتلوا في غزوة بئر معونة التي وقعت في صفر بعد 36 شهرًا من مهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

وقد جاء في كتاب المغازي أنه:"كان من الأنصار سبعون رجلاً شببةً يسمون القراء، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحيةً من المدينة فتدارسوا وصلوا، حتى إذا كان وجاه الصبح استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاءوا به إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكان أهلوهم يظنون أنهم في المسجد، وكان أهل المسجد يظنون أنهم في أهليهم، فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فخرجوا فأصيبوا في بئر معونة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على قتلتهم خمس عشرة ليلة"[4].

وبعد ذلك في عهد الصحابة، وفي زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، برز قراء المصاحف الذين أرسلهم عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية، حاملين المصحف بالرسم العثماني، وقد التزم كل قارئ بتعليم القرآن الكريم حسب روايته وما يوافق رسم المصحف.

وبعد ذلك تجرد أقوام للقراءة والإقراء واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يحتذى بهم ويقصدهم الناس من الآفاق، وأجمع أهل بلدهم عليهم من كل بلد، وفي الشام ظهر عبد

---

1 - البخاري، محمد، صحيح البخاري، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، رقم الحديث: 3925، ج65/5.

2 - ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، (2001)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، الناشر: مؤسسة الرسالة، ج8/17.

3 - انظر الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي ت (207هـ)،(1989)، المغازي، ط3، بيروت، دار الأعلمي، ص132، وانظر الفضلي، عبد الهادي، (2009)، القراءات القرآنية، ص29.

4 - الواقدي، محمد، المغازي، ص133.

الله ابن عامر[1] المتوفى سنة 118هـ، وعطية بن قيس الكلابي[2] المتوفى سنة 121هـ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري المتوفى 145هـ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي المتوفى 203هـ[3].

وبعد أن أنعم الله تعالى على أهل الشام بالفتح المبين على يد عمر بن الخطاب واستقرت الحياة بها، كان يزيد بن أبي سفيان أول الأمراء الذين تبينوا حاجة أهل الشام إلى من يقرئهم القرآن الكريم؛ فأرسل إلى عمر بن الخطاب يخبره بحاجة أهل الشام إلى من يقرئهم ويحفظهم كتاب الله، فأرسل إليهم عمر ثلاثة من الصحابة[4].

وقد ذكر ابن كعب[5] القرظي[6] :"جمع القرآن في زمان النبي عليه الصلاة والسلام خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل[7]، وعبادة بن الصامت[1]، وأبي بن كعب[2]، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو

[1] - جاء في معجم القراءات: هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، إمام أهل الشام وقاضيهم، يكنى أبا عمرو أو أبا موسى، كان تابعيًا جليلًا، إمامًا بالجامع الأموي في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله، وبعده، جمع له بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق، ولد سنة 21هـ أو 28هـ على اختلاف في ذلك وتوفي يوم عاشوراء سنة 118هـ". مختار، أحمد، مكرم، عبد العال سالم، (1997)، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، ط3، مصر، عالم الكتب، م79/1.

[2] - تابعي شامي، (ابن حجر، العسقلاني، الإصابة، ج236/9).

[3] - انظر ابن الجزري، محمد، النشر، ج8/1-9.

[4] - انظر ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، المتوفى: 230 هـ، (2001)، الطبقات الكبير، المحقق: علي محمد عمر، القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي، ج15/4، وانظر عطوان، حسين، (1982)، القراءات في بلاد الشام، ط1، بيروت، دار الجيل، ص13، وانظر ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف (المتوفى: 571هـ)، (1995)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، ج213/7، وانظر ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ)، (1994)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1،الناشر: دار الكتب العلمية، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية،عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ج257/1، ابن حجر، العسقلاني، الإصابة، 269/2، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، (1326هـ)، تهذيب التهذيب، ط1، الهند، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 112/5.

5 - محمد بن كعب القرظي: حليف الأنصار، تابعيّ مشهور، قال التّرمذيّ في جامعه: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: بلغني أن محمد بن كعب القرظيّ ولد في حياة النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلم، وكذلك حكى أبو عبيد الآجري، عن أبي داود، عن قتيبة، وهو وهم من قتيبة، وإنّما ورد ذلك في حق كعب والد محمّد، وولد محمد بن كعب في آخر خلافة عليّ سنة أربعين، وكانت وفاته سنة ثمان ومائة، وقيل بعد ذلك حتى قيل إنه مات سنة عشرين، فعلى هذا فيقطع بأنه لم يولد إلا بعد النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلم(ابن حجر، الاصابة، ج6/ 273).

6 - عطوان، حسين، القراءات في بلاد الشام، ص13.

7 - معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله، وآخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب، توفي سنة 18هـ. (انظر ابن حجر، العسقلاني، الإصابة، ج106/6، خير الدين، الزركلي، الأعلام، ج258/7).

الدرداء، فلما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام كثروا وربلوا[3]، وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا[4]، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير - لأبي أيوب- وأما هذا فسقيم - لأبي بن كعب - فخرج معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدأوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن[5]، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس، أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ بن جبل إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات"[6].

أما عندما دخل أبو الدرداء - رضي الله عنه - دمشق، فأول ما قام به أنه جلس في مسجدها في الجانب الشرقي في محراب الصحابة ليعلم الناس اتباعًا لمنهج الصحابة السابقين، وقد ذكر الذهبي قول سويد بن عبد العزيز أنه:" كان أبو الدرداء –رضي الله عنه- إذا صلى الغداة في جامع دمشق، اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرةً عشرةً، ويجعل على كل عشرة عريفاً ويقف هو في المحراب، يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك، وكان عبدالله بن عامر عريفاً على عشرة، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر"[7].

وتميزت حلقات أبي الدرداء بزيادتها واتساعها المستمر، فقد روى مسلم بن مشكم قال:" قال لي أبو الدرداء: أعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفاً وستمائة ونيفًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء يبتدئ لكل غداة، إذا انفتل من الصلاة، فيقرأ جزءاً من القرآن،

---

1 - عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، أبو الوليد، صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة وكان أحد النقباء، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، توفي سنة 34هـ. (ابن حجر، العسقلاني، الإصابة، ج26/4، والأعلام، ج258/3.لسان العرب (1/ 128).

2 - أبي بن كعب: بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل سيّد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها.(الإصابة،ج180/1، وانظر خير الدين، الزركلي، الأعلام، ج82/1).

3 - ربلوا: كثر عددهم.

4 - استهموا: اقترعوا.

5 - يلقن: يفهم ما يسمع.

6 - ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، (1990)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج273/2، وابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف (المتوفى: 571هـ)، (1995)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، ج137/47، علمًا أنه لم يذكر هذا الأثر في كتب السنن ولا الصحيحين.

7- انظر الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله،(1404هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط1، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ج41/1،وانظر ابن الجزري، محمد، غاية النهاية ج606/1

وأصحابه محدقون به، يستمعون ألفاظه فإذا فرغ من قراءته جلس كل رجل منهم في موضعه، وأخذ على العشرة الذين أضيفوا إليه"[1].

وقد نبغ على يد أبي الدرداء الكثير من الطلاب، أشهرهم عبد الله بن عامر اليحصبي، وزوجه أم الدرداء الصغرى، وخليد بن سعد، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان[2].

أما الصحابي الجليل عبادة بن الصامت فقد كان يعلم أهل الصفة القرآن إبان فتح الشام، فعمل عمر على إرساله إلى الشام وأرسل معه معاذ بن جبل فكان مقرئ أهل فلسطين ومعلمهم، أما أبو الدرداء فقد أقام بدمشق فكان ممن لهم بصمة لا تنسى إلى اليوم في تعليم أهل دمشق القراءات، أما عبادة فقد مكث في أهل حمص فترة ثم رحل إلى فلسطين3، حاملين على عاتقهم تبليغ رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، تالين كتاب الله العزيز مقرئين ومعلمين فكانوا ممن جاهدوا في الله حق جهاده في نقل العلم والتعليم.

من هنا بدأت المرحلة الثانية والأخيرة لنشأة القراءات، وهي التي تعد بعد إرسال المصاحف إلى الأمصار الإسلامية، وتحوي على ما تبقى من الأحرف السبعة، فقد كانت الأولى تقتصر على ما صح سنده عن النبي عليه الصلاة والسلام وما توافق مع الرسم العثماني، رغم أن العلماء يعدون المرحلة الأولى أكثر شمولًا واتساعًا، وعليه يقول رفيق الحليمي:" إن ما نعرفه اليوم وتعرفه مختلف الأقطار الإسلامية جميعًا من أوجه القراءات الصحيحة والمتواترة بالأثر، هي وليدة المرحلة الثانية، وليست وليدة ولادة مباشرة للمرحلة الأولى بحال من الأحوال؛ لأن المرحلة الأولى قد توقفت تقريبًا، وكل ما أخذ منها قدر يسير مما يتوافق مع الرسم العثماني ليس غير"[4].

رغم ما تقدم إلا أنني أرى أن المرحلة الأولى اعتمدت على صحة السند وتواتر القراءات فقط، حتى جاءت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه التي بها جمع القرآن الكريم على ما صح سنده وضبط رسمه، فدخل هنا شرط آخر وهو أن تكون القراءة موافقة للرسم العثماني، حيث حصل بها إجماع الأمة، لذا قوله "قد توقفت تقريبًا"، هي عبارة ليست دقيقة، فهذه المرحلة كانت معتمدة على المصدر الأول وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما قوله "وكل ما أخذ منها قدر يسير مما يتوافق مع الرسم العثماني ليس غير" فهذا يتعارض مع أركان القراءة الصحيحة وهي

1- انظر ابن الجزري، محمد، غاية النهاية ج424/1، مجموعة أساتذة باحثين، بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي، (1435هـ)، جامعة الملك سعود، السعودية، المدرسة الشامية في إقراء القرآن الكريم وتجويده المدرسة الدبسية أنموذجًا، إعداد الشيخ الدكتور محمد مطيع الحافظ الدمشقي، ص 111.

2- انظر ابن الجزري، محمد، غاية النهاية ج424/1، بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي (1435هـ)، المدرسة الشامية في إقراء القرآن الكريم وتجويده المدرسة الدبسية أنموذجًا، إعداد الشيخ الدكتور محمد مطيع الحافظ الدمشقي، ص111.

3 - انظر ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ)، (1994)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، ج158/3.

4 - الحليمي، رفيق حسن، أضواء على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية من خلال مباحث لغوية فلسفية، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ص104-105.

صحة السند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة الرسم العثماني ولو احتمالًا وموافقة وجه من أوجه اللغة العربية وهو الذي حصل عليه إجماع الأمة.

ومن الجدير بالذكر أشهر قراء الشام من التابعين، الذين كان لهم بصمة في القراءة والتعليم في دمشق: أبو مسلم الخولاني(ت 62هـ)، وأبو إدريس الخولاني(ت 80هـ)، الذي كان له حلقات بمسجد دمشق متخصصة في تعليم القرآن، وبعد وفاة أبي الدرداء خلفه عبد الله بن عامر[1] الذي كان يسمى الإمام لعلمه بأصول قراءة أبي الدرداء، وكان مجلسه من الجامع الأموي شهيرًا بالروضة، وفيه مجلس ابن ذكوان، وقد قرأ عليه جمع كبير من التابعين وتابعي التابعين وعدهم البعض فأوصلهم ستة وأربعين إمامًا ماهرًا في القراءة، وقد اتبع ابن عامر أسلوبًا في التعليم فاستخدم القراءة بالتحقيق والترتيل والتمكين تارة، وتارة بين التشديد والتسهيل والحدر مع مراعاة الترتيل، ومن أشهر من روى القراءة عنه عرضًا يحيى ابن الحارث الذماري، وأخوه عبد الرحمن بن عامر، وربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة[2]، علمًا بأن التحقيق والترتيل والتدوير والحدر تعد هذه من مراتب القراءة من حيث السرعة وعدمها، بينما التسهيل والتشديد هو أسلوب من أساليب التعليم.

وقد انتشرت قراءة ابن عامر في دمشق انتشارًا واسعًا؛ فقد استمرت حتى القرن الخامس الهجري، فكان أهل الشام يقرؤون بقراءته قاطبة ويتلون ويصلون بها، كما كان عليها أهل الجزيرة الفراتية[3]، وقد قال الشاطبي :" هذا أعظم دليل على قوتها"[4]، أما بعد القرن الخامس فقد انتشرت قراءة أبي عمرو البصري[5].

وقد ذهب ابن الجزري إلى أن سبيع بن المسلم[6] هو سبب اشتهار هذه القراءة فقال:" وأظنه هو الذي أشهر قراءة أبي عمرو تلقينًا بدمشق، بعدما كانوا يتلقون لابن عامر"[1].

---

[1] - قراءة ابن عامر الشامي، وهو عبد الله بن عامر اليحصبي، وقد تلقى القراءة عن الصحابة مباشرة، فقرأ على أبي شهاب عن عثمان بن عفان، وهو من القراء الذين أخذوا عن أبي الدرداء مباشرة وتولى تعليم القرآن في دمشق بعده، حيث إنه اشتهر بالفضل والعلم في بلاد الشام وانتشرت قراءته حوالي خمسة قرون. (انظر الحبش، محمد، (1999)، القراءات وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق، دار الفكر، ص65).

[2]- انظر ابن الجزري، محمد، غاية النهاية ج424/1، بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي (1435هـ)، المدرسة الشامية في إقراء القرآن الكريم وتجويده المدرسة الدبسية أنموذجًا، إعداد الشيخ الدكتور محمد مطيع الحافظ الدمشقي، ص 111.

3 - انظر النعيمي، عبد القادر، دور القرآن، ص12.

4 - ابن الجزري، محمد، طبقات القراء، ج424/1.

5 - أبو عمرو البصري:" هو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري، اختلف في اسمه كثيرًا، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الثقة والأمانة والدين، ولد سنة ثمان وستين ومات سنة مائة وخمس وخمسين"(ابن الجزري، أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد، (2014)، شرح طيبة النشر، تحقيق حذيفة بن صلاح الخالدي، تقديم أ.د شحادة بن حميدي العمري، ط1، الأردن، دار الفاروق، ص19).

6 - سبيع بن المسلم بن علي بن هارون أبو الوحش المعروف بابن قيراط شيخ دمشق كان ضريرًا ثقة كبيرًا، ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، وقرأ على أبي علي الحسن بن علي الأهوازي ورشا بن نظيف، قرأ عليه إسماعيل بن علي بن بركات الغساني شيخ عبد الوهاب بن برغش2 وروى القراءات عنه الخضر بن شبل الحارثي وعلي بن الحسن الكلابي، وكان يقرئ الناس تلقينا ورواية من المسبح3 إلى قريب الظهر بالجامع الأموي وأقعد وكان

وفي القرن السابع الهجري استمر عطاء الدمشقيين في علوم القرآن وخاصة القراءات، بل زادت عنايتهم بذلك، حتى قال الإمام النووي (ت 676 هـ): "ورأيت أهل بلدتنا دمشق - حماها الله تعالى وصانها وسائر بلاد الإسلام - مكثرين من الاعتناء بتلاوة القرآن العزيز تعلمًا وتعليمًا وعرضًا ودراسة في جماعة وفرادى، مجتهدين في ذلك بالليالي والأيام، زادهم الله حرصًا عليه وعلى جميع أنواع الطاعات مريدين وجه الله، ذو الجلال ذوالإكرام"[2].

أما عن القراءات فقد اختلف الصحابة في طرقها وأدائها، فقد اعتمد أهل دمشق وحمص قراءة المقداد بن الأسود[3]، وقد قرأ الكثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب، كما اعتمد أهل الكوفة قراءة ابن مسعود، أما أهل البصرة فقد اعتمدوا قراءة أبي موسى الأشعري، وقد سموا مصحفه لباب القالوب[4]، ورغم ما ورد عن العلماء من تسمية قراءة مثلًا للمقداد بن الأسود إلا أنها لا تعد قراءة من ضمن القراءات العشر المعروفة، إنما هي سند للقراءة عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد استمر الناس عليها حتى ظهرت الشاطبية التي نظمها الشاطبي القاسم بن فيُّره، وضمنها القراءات فاهتم الناس بها وحفظوها ولهجوا بها، وقد بيّن ابن خلكان أهميتها في هذا الزمان فقال:" وهي عمدة قراء هذا الزمان في تعلمهم، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها"[5].

رغم عناية أهل الشام بالشاطبية، إلا أنهم كانوا يقرؤونها بالجمع، أما قراءة أبي عمرو فقد كانوا يقرؤونها إذا كانوا فرادى، وبقوا على ذلك حتى زمن ابن الجزري الذي قال في طبقات

يحمل إلى الجامع وأظنه هو الذي أشهر قراءة أبي عمرو تلقينا بدمشق بعدما كانوا يتلقنون لابن عامر والله أعلم، توفي في شعبان سنة ثمان وخمسمائة.(ابن الجزري، محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، ج301/1).

1 - ابن الجزري، طبقات القراء، ج301/1.

2- انظر النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، (1994)، التبيان في آداب حملة القرآن، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط3، بيروت، الناشر: دار ابن حزم للطباعة، ص10.

3 - "المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرميّ، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفي الحديث: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان)، وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. ووقع بين المقداد وابن شمر ابن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له (المقداد بن الأسود)، إلى أن نزلت آية (ادعوهم لآبائهم) فعاد يتسمى (المقداد بن عمرو) وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها".(الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج282/7).

4 - انظر فتح الباري، ج392/10، وانظر الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (المتوفى: 1356هـ)، تاريخ آداب العرب، الناشر: دار الكتاب العربي، ج26/2.

5 - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(1900)، المحقق: إحسان عباس، ط1، بيروت، الناشر: دار صادر، ج534/1.

القراء:" فالقراءة التي عليها الناس اليوم بالشام والحجاز واليمن ومصر هي قراءة أبي عمرو فلا تكاد تجد أحدًا يلقن القرآن إلا على حرفه خاصة في الفرش، وقد يخطئون في الأصول"[1].

أما ما لم يذكر من قراءات في الشاطبية، فقد كان يجهلها أهل الشام، بل وكانوا يحاولون منع من يأتي بها، ودليل ذلك ما أورده ابن الجزري عن عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي لما قدم دمشق في حدود سنة 730هـ، فأقرأ بها للعشرة، وقد قال ابن الجزري:" بلغنا أن بعض مقرئي دمشق ممن كان لا يعرف سوى الشاطبية والتيسير حسده وقصد منعه من بعض القضاة"[2]، ويبدو أن القراء لم يتتبعوا علم القراءات فاعتقدوا أن ليس من القراءات إلا ما جاء في الشاطبية[3]؛ لذلك عمل ابن الجزري على تبيان القراءات المهملة أو المجهولة، فكان بذلك باعثًا لهذا الفن بل وناشره، فقال:" وإني لما رأيت الهمم قد قصرت، ومعالم هذا العلم الشريف قد دثرت، وخلت من أئمته الآفاق، وأقوت من موفق يوقف على صحيح الاختلاف والاتفاق، وترك لذلك أكثر القراءات المشهورة، ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآنا إلا ما في الشاطبية والتيسير ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النذر اليسير"[4]، ثم أضاف:" وكان من الواجب على التعريف بصحيح القراءات، والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات، فعمدت إلى أثبت ما وصل إلي من قراءاتهم، وأوثق ما صح لدي من رواياتهم"[5].

وهكذا انتشرت بطيبة النشر قراءات صحيحة أصبحت الشاطبية جزءًا صغيرًا منها[6].

وكما اهتم الصحابة والتابعون بتعليم القرآن الكريم بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اهتم الأمراء في زمن الدولة الأموية اهتمامًا بالغًا به، ومن صور اهتمامهم أنهم:

1- حثوا على تعليم القرآن الكريم وحفظه.
2- أمر الأمراء مؤدبي الأطفال أن يعلموهم القرآن، فقد قال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن[7].
3- أوصى الأمراء أهل الشام بقراءة القرآن وحفظه، وأول من أمر بذلك عبد الملك بن مروان وتبعه ابنه الوليد.

وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز أصبح اهتمام أهل الشام بقراءة القرآن الكريم أكثر، فتنافسوا وتسابقوا بحفظه وإتقانه[1]، قال المدائني - كما ورد عند الطبري - :" لما ولي عمر بن عبد

---

[1] - ابن الجزري، محمد، طبقات القراء، ج292/1.
[2] - ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، (1998)، النشر في القراءات العشر، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ج39/1.
[3] - انظر النعيمي، عبد القادر بن محمد ت 927هـ، (1973)، دور القرآن في دمشق، صححه وعلق عليه د. صلاح الدين المنجد، ط2، بيروت، ص13.
[4] - ابن الجزري، محمد، النشر في القراءات العشر، ج54/1.
[5] - المرجع السابق، ج54/1.
[6] - انظر النعيمي، عبد القادر، دور القرآن، ص14.
[7] - انظر عطوان، حسين، القراءات في بلاد الشام، ص14، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، (1418 هـ)، عيون الأخبار، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ج167/2، اليغموري، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود (المتوفى: 673هـ)، (1964)، نور القبس من المقتبس، تحقيق رودولف زلهايم، دمشق، طبع في فيسبادن، ص250.

العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟"[2].

ولم يكتف الخلفاء الأمويون بأمر أهل الشام بالاهتمام بكتاب الله بل كانوا يحثون أهل الأمصار الإسلامية بذلك، وكانوا يقومون بمكافأة العلماء والمعلمين، الذين أخلصوا بالتعليم[3].

المبحث الثالث: نشأة علم التجويد

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي

المعنى اللغوي للفعل الثلاثي جود:

جاء في مقاييس اللغة أن:"جود: الجيم والواو والدال أصل واحد، وهو التسمح بالشيء، وكثرة العطاء، يقال: رجل جواد بين الجود، وقوم أجواد، والجود: المطر الغزير، والجواد: الفرس الذريع والسريع، والجمع جياد"[4].

وفي مختار الصحاح بيّن أن ج و د: شيء جيد والجمع جياد... وجاد بماله يجود جودًا فهو جواد[5].

وقد أجمعت معظم معاجم اللغة على أن **جود** بمعنى الجيد، أو نقيض الرديء[6]، "والتجويد مصدر جودت الشيء"[7].

وأما المعجم الوسيط فقد اقترب من المعنى المقصود عندما قال:" أَجَاد: أَتَى بالجيد من قَول أَو عمل"[8].

المعنى الاصطلاحي لعلم التجويد:

التجويد: بيّن الإمام الداني أن التجويد يأتي بمعنى:" انتهاء الغاية في إتقانه وبلوغ النهاية في تحسينه"[9].

التجويد: "هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيلها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف وهو حلية القرآن"[10].

---

[1] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، (1986)، البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر، ج63/9.

2 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)، (1407هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط1، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ج29/4، وانظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ج165/9، 207.

3 - انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ج340/9.

[4] - الرازي، أحمد، مقاييس اللغة، ج493/1.

[5] - الرازي، أبو عبد الله محمد، مختار الصحاح، ص63.

6 - انظر ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج135/3، وانظر الزبيدي، محمد، تاج العروس، ج526/7، وانظر الفيروزآبادي، محمد، القاموس المحيط، ج275/1

7 - ابن منظور، لسان العرب، ج110/4.

8 - المعجم الوسيط،ج145/1.

9 - الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، (2015)، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق د. غانم قدوري الحمد، ط3، الأردن، دار عمار، ص2.

[10] - الكفوي، أبو البقاء، الكليات، ج311/1.

وقد بين المسعدي أن التجويد هو:"إعطاء الحروف حقها من صفاتها السابقة ذاتية كانت أم عرضية، ومستحقها مما ينشأ عن صفاتها الذاتية، مع بلوغ الغاية والنهاية في إتقانها وتحسينها وخلوها من الزيادة والنقص، وبراءتها من الرداءة في النطق والإدمان في تحرير مخارجها وبيان صفاتها بحيث يصير ذلك للقارئ سجية وطبيعة، سواء كانت تلك الحروف أصلية أم فرعية أم مركبة أم بسيطة"[1].

نجد علاقة وطيدة بين المعنى اللغوي الذي بين أن جود من الشيء الجيد، والمعنى الاصطلاحي الذي يقول بأن جود من الحسن والتحسين، وهذان المعنيان يقتربان بالحسن والجود.

المطلب الثاني: بداية ظهور علم التجويد

إن علم التجويد بالمعنى المعلوم حاليًا من إخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه، لم يكن معروفًا بهذا التعريف في زمن الصحابة، وإنما ظهر هذا المعنى في القرن الرابع الهجري، ولم يكن هناك كتاب مستقل بعلم التجويد قبل ذلك، وكان أول من كتب في هذا العلم وأبرزه في كتاب مستقل الإمام موسى بن عبيد الله الخاقاني المتوفى سنة 325هـ، وأجد أن علم التجويد تأخر ظهور مؤلفاته عن بقية العلوم الشرعية[2]، أما الذي أشار إلى معنى التجويد فهو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال:" جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات"[3].

وقد استقرأت أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وروايات الصحابة، فلم أجد أيًا منهما يدل على استخدام هذا المصطلح في ذلك الزمان، وإنما كان هناك بعض المصطلحات المستخدمة التي من خلالها أستطيع استنباط معنى التجويد، مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، التي تشير بمعناها إلى حسن الصوت والأداء[4].

وقد استخدم مصطلح التجويد بعد الخاقاني هو أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي المتوفى سنة 410هـ، في كتابه التنبيه على اللحن الجلي والخفي[5].

وفي القرن الخامس الهجري بدأت تظهر مؤلفات في علم التجويد، فقد برز كتابان من أهم ما كتب في هذا العلم؛ وهما الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى 437هـ، والتحديد لأبي عمرو الداني المتوفى سنة 444هـ، ويبدو أن هناك لبسًا بين أسبقية كل منهما في كتابة هذا العلم فقد جاء عن مكي أنه قال:" وما علمت أن أحدًا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب..."[6].

---

[1] - المسعدي، عمر بن إبراهيم بن علي، (2005)، الفوائد المسعدية في حل الجزرية، تحقيق جمال السيد رفاعي، راجعه وقدم له الشيخ على بن محمد أبو سلبة، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ص63.

2 - انظر الحمد، غانم قدروي، (2009)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط3، الأردن، دار عمار ص17.

3 - ابن الجزري، محمد، النشر، ج210/1، والسيوطي، عبد الرحمن، الإتقان، ج281/1.

4 - انظر الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج479/1، وانظر الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية، ص16.

[5] - انظر الذهبي، معرفة القراء، ج298/1، وانظر ابن الجزري، محمد، غاية النهاية، ج529/1.

[6] - القيسي، مكي، (2011)، الرعاية، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط6، الأردن، دار عمار، ص42.

وذكر نحو ذلك الداني حيث قال :"أما بعد، فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه وحث نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته عليه من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل، أن أعملت نفسي في رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ في وصف علم الإتقان والتجويد وكيفية الترتيل والتحقيق"[1].

وبعد ذلك توالت المؤلفات في علم التجويد إلى وقتنا الحاضر، وأما مؤلفات علم القراءات، فقد كان أول ما كتب فيها كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي المتوفى سنة 324هـ، ولم يعدّ العلماء الكتب التي ألفت في موضوع القراءات هي مرحلة بدء التأليف في علم التجويد، إذ إنهما علمان مختلفان مع أن كلًا منهما مرتبط بألفاظ القرآن الكريم، إلا أن كلًا منهما يختلف في المنهج والموضوع، ويهتم علم التجويد بتحقيق اللفظ وتجويده وقواعده مما لا يختلف فيه كثير من القراء[2].

وأما ناحية المنهج؛ فإن علم التجويد علم دراية وعلم القراءات علم رواية[3].

ومن الجدير بالذكر أن تأخر ظهور علم التجويد كعلم لا يعني أن القراء لا ينطقون القرآن على غير أصل واضح؛ لأن واقع الحال أنهم منذ عهد الصحابة اهتموا أشد الاهتمام واعتنوا بتجويد الألفاظ بالنطق الصحيح المتصل بسند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الإمام المرعشلي:" وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة وتزيد المهارة ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف"[4].

والحصيلة أن المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأصل والأساس في تعلم وتعليم القرآن الكريم.

المطلب الثالث: العلاقة بين علم التجويد وعلم القراءات

قام الإمام محمد المرعشي الملقب بساجقلي زادة المتوفى سنة 1150هـ بدراسة حول الفرق بين علم التجويد وعلم القراءات، فبيّن أن :"علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم، إذ لا يتعلق الغرض به"[5].

أما علم التجويد فقد بيّن أن الغرض منه هو:" معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم"[6].

---

1 - الداني، أبو عمرو، التحديد، ص67.
2 - انظر الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية، ص21.
3 - انظر القيسي، مكي، الرعاية، ص199.
4 - المرعشي، محمد، جهد المقل، ص17-18.
5 - المرعشي، محمد، جهد المقل، ص19.
6 - المرجع السابق، ص19.

ومن الأمثلة على علم التجويد أنه يدخل في مفهوم التفخيم والترقيق للحروف الهجائية وكيفية أدائها، أما علم القراءات فيبين اختلاف القراء في تفخيم حرف أو ترقيقه، فمثلًا حرف اللام دائمًا يأتي مرققًا كونه من حروف الاستفال عند جميع القراء، ما عدا الإمام ورش الذي يقرؤها بالتغليظ، حسب شروط تخص روايته، مثل: الصلاة: تقرأ اللام مرققة عند جميع القراء، بينما ورش يقرأ اللام بالتغليظ إذا سبقت بحرف الصاد المفتوح.

References:

The Holy Quran

The Prophet's Year

Al-Abiari, Ibrahim ibn Ismail (deceased: 1414 Ah), (1405 AH), Qur'anic Encyclopedia, Publisher: Arab Record Foundation

Ahmed, Mohammed, (2011), Cultural Life in Damascus in the Ottoman Era, Damascus University Magazine, Issue 1 and 2, Damascus

Al Ismail, Nabil ibn Muhammad Ibrahim Al Ismail, (2000), the science of readings originated in his phases, his influence in the Islamic Sciences, i1, the Library of Repentance

Al-Andraby, Ahmad bin Abi Omar, illustrator in the 10 readings, is a manuscript at the University of Istanbul no. (1350), including a photo copy in the Library of the Iraqi Scientific Society

Al-Ansari, Zakaria, (2001), the island's explanation of the court minutes in the explanation of the introduction, checked by Mohamed Ahmed Habib, Cairo, i1, Library of Literature

Al-Ashmuni, Ahmed bin Mohammed bin Abdul Karim, (1973), Manar al-Huda in the Waqf and Al-Badda statement, i2, Egypt, Al-Babi al-Halabi Press

Al-Azdi, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan bin Dred (deceased: 321 Ah), (1987), the language community, the investigator: Ramzi Munir Baalbeki, I1, Beirut, publisher: Dar al-Alam for millions

Al-Baghdadi, Ismail bin Mohammed Amin bin Mir Salim al-Babani (deceased: 1399 Ah), (1951), the gift of the authors and the relics of the authors, Istanbul, publisher: carefully printed by the prestigious knowledge agency in its beautiful printing press, reprinted with offset: Beirut- Lebanon, The House of Revival of Arab Heritage

Al-Baghdadi, Ismail ibn Muhammad Amin bin Mir Salim al-Babani (deceased: 1399 Ah), explaining the place in the tail to reveal the disbelief, meant to correct it and print it on the copy of the author: Mohammed Sharaf al-Din al-Taqaya, head of matters of religion, and Teacher Rifaat Belka Al-Kalisi, Beirut- Lebanon, publisher: House of Revival of Arab Heritage

Al-Baghdadi, Zain al-Din Abdul Rahman bin Ahmad bin Rajab bin Al-Hasan, Al-Salami, then Al-Damascene, Hambali (deceased: 795 Ah), (2005), tail of the hanbali layers, detective: D. Abdul Rahman bin Sulaiman al-Athaimin, T1, Riyadh, publisher of the Al-Abykan Library

Al-Basrawi, Ali bin Yusuf bin Ali bin Ahmed, Aladdin al-Atki al-Shafei (deceased: 905 Ah), (1408 Ah), The History of Basrawi, Detective: Akram Hassan al-Alabi, I1, Damascus, Dar al-Maamoun Heritage

Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah al-Ja'fi, (1422 Ah), the mosque of the correct and abbreviated mosque of the prophet, his age and his days = Sahih al-Bukhari, investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasser, i1, publisher: The Circle of Salvation (illustrated by the Sultani by adding numbering Muhammad Fouad Abdel Baki)

Al-Burini, Al-Hassan bin Mohammed, (1959), the translations of the dignitaries of the time, the realization of Salah al-Din al-Munajjid, (D.I.), Damascus, the Arab Scientific Society

Al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Hussein bin Mohammed, known as Ragheb (deceased: 502 Ah), (1412 Ah), vocabulary in the Qur'an, detective: Safwan Adnan Daoudi, I1, Damascus- Beirut, publisher: Dar al-Qalam, Shamiya House

Al-Tahnawi, Muhammad Ali, Bissaj, Ahmed Hassan, (1418 Ah), Art Explorer, I1, Scientific Book House

Anis, Ibrahim, (1975), Linguistic Voices, I4, Cairo, Anglo-Egyptian Library

Badran, Abdelkader T: 1346 Ah, (1985), The Ruins and The Samaria of Imagination, By Zuhair Al-Shawish, Beirut, Publisher, Islamic Office

Gibran, Noman Mahmoud (1981), Kingdom of Hama in the Ayibi and First Mamluk periods (570-783 Ah/1174-1381), unpublished master's thesis, Faculty of Arts, University of Jordan

Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karm Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahid al-Shaybani al-Jazari, Ezzedine (deceased: 630 Ah), (1994), the lion of the forest in the knowledge of the Sahaba, the investigator: Ali Mohammed Mouawad - Adel Ahmed Abdul-Maqdis, i1, The House of Scientific Books

Ibn al-Jazari, Abu al-Khair Mohammed bin Mohammed al-Damassi(1998), publishing in The Ten Readings, I1, Beirut-Lebanon, The House of Scientific Books

The son of the builder, Abu Ali al-Hassan bin Abdullah, (1987), explains the flaws that readers should be aware of and explain the tools on which the reading was built, a manuscript in the Public Waqf Library in Mosul No. 5/20, manuscripts of the Islamic School, published by my investigation in the Journal of the Institute of Arab Manuscripts in Kuwait 31 years ago, Jordan, Dar Ammar